دعوى رد ما جاء به الأنبياء والرسل؛ لعدم حاجة البشرية إليه

المؤلف : **مجموعة مؤلفين**

المصدر : **شبهات المشككين في الإسلام**

التاريخ : **00:01:39 03-09-2020**

نص السؤال

دعوى رد ما جاء به الأنبياء والرسل؛ لعدم حاجة البشرية إليه

خاتمة الجواب

دعوى رد ما جاء به الأنبياء والرسل؛ لعدم حاجة البشرية إليه (*)

مضمون الشبهة:

يدعي بعض المشككين من غلاة العلمانيين أن البشرية ليست بحاجة إلى الأنبياء والرسل، مستدلين على ذلك بأن البشرية بلغت مبلغا عظيما من التقدم والرقي عندما استغنت بالعقل - الذي يميز بين الصواب والخطأ - عن الرسل وتعاليمهم، هادفين من وراء ذلك إلى إسقاط الدين من الحياة بإنكار رسالة الأنبياء

وجوه إبطال الشبهة:

1) البشرية بحاجة إلى الرسل؛ لإصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، وهداية العقول، ومعرفة الوجهة الصحيحة في الحياة، وكذا معرفة أصول علاقة الإنسان بخالقه تعالى، وبأخيه الإنسان

2) الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة لا يكون إلا على أيدي الرسل وقيادتهم للبشرية؛ لأنهم مؤيدون من قبل الله تعالى

3) حاجة البشرية إلى الشريعة والدين كحاجتها إلى الطب؛ فبالشريعة تصح القلوب والعقول، وبالطب تصح الأبدان

4) الوحي هو حلقة الوصل بين الله - عز وجل - ورسله، فلا يصح الاستغناء عنه بالعقل؛ لأن العقل قاصر عن الإحاطة بما يصلح للإنسان

5) الأنبياء هم حلقة الوصل بين الله وخلقه؛ فهم يعرفون العباد بخالقهم، ويبلغونهم ما أمرهم به من خير في دينهم ودنياهم.

التفصيل:

أولا: البشرية بحاجة إلى الرسل؛ لإصلاح القلوب، وتهذيب النفوس، وهداية العقول، ومعرفة الوجهة الصحيحة للإنسان في الحياة، وعلاقة الإنسان بالحياة وخالقها:

إذا كان الناس في القديم يجادلون الرسل، ويرفضون علومهم، ويعرضون عنهم، فإن البشر اليوم في القرن الحادي والعشرين - حيث بلغت البشرية ذروة التقدم المادي، ففاصت في أعماق البحار، وانطلقت بعيدا في أجواء الفضاء، وفجرت الذرة، وكشفت كثيرا من القوي الكونية في هذا الوجود - أشد جدالا للرسل، وأكثر رفضا لعلومهم، وأعظم إعراضا عنهم، وحال البشر اليوم من الرسل وتعاليمهم كحال الحمر المستنفرة حين ترى الأسد؛ فتفر لا تلوي على شيء،

قال سبحانه وتعالى:

(فما لهم عن التذكرة معرضين (49) كأنهم حمر مستنفرة (50) فرت من قسورة (51)

(المدثر).

والبشر اليوم يأبون - أكثر من ذي قبل - التسليم للرسل وتعاليمهم؛ اغترارا بعلومهم، واستكبارا عن متابعة رجال عاشوا في عصور متقدمة على عصورهم،

قال سبحانه وتعالى:

(ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غني حميد)

(التغابن:6)

واليوم ينفخ شياطين الإنس في عقول البشر يدعونهم إلى التمرد على الله وعلى شريعة الله، ورفض تعاليم الرسل، بحجة أن في شريعة الله حجرا على عقولهم، وتعطيلا لركب الحياة، وتجميدا للحضارة والرقي، وقد أقامت الدول اليوم نظمها وقوانينها وتشريعاتها على رفض تعاليم الرسل، بل إن بعض الدول تضع الإلحاد مبدا دستوريا، وهو ما يسمى بالعلمانية، وكثير من الدول التي تتحكم في رقاب المسلمين تسير على هذا النهج، وقد ترضي عوام الناس بأن تضع مادة في دستورها تقول: "دين الدولة الإسلام"، ثم تهدم هذه المادة بالمواد السابقة واللاحقة والتشريعات التي تحكم هؤلاء المستبعدين.

فهل صحيح أن البشرية بلغت اليوم مبلغا يجعلها تستغني عن الرسل وتعاليم الرسل؟! وهل أصبحت البشرية اليوم قادرة على أن تقود نفسها بعيدا عن منهج الرسل؟!

يكفي للإجابة عن هذا السؤال أن ننظر في حال تلك الدول التي نسميها "متقدمة متحضرة" - أمريكا، بريطانيا، فرنسا، روسيا، الصين - لنعلم مدى الشقاء الذي يغشاهم، نحن لا ننكر أنهم بلغوا في التقدم المادي شأوا بعيدا، ولكنهم في الجانب الآخر الذي جاء الرسل وجاءت تعاليمهم لإصلاحه انحدروا انحدارا بعيدا.

لا ينكر أحد أن الأوجاع الجسدية والعقد النفسية اليوم سمة العالم المتحضر، فالإنسان في العالم المتحضر اليوم فقد إنسانيته، خسر نفسه؛ ولذلك فإن الشباب هناك يتمردون على القيم والأخلاق والأوضاع والقوانين، أخذوا يرفضون حياتهم التي يعيشونها،

وأخذوا يتبعون كل ناعق من الشرق أو الغرب يلوح لهم بفلسفة أو دروشة أو سفسطة يظنون فيها هناءهم، لقد تحول عالم الغرب إلى عالم تنخر الجريمة عظامه، وتقوده الانحرافات والضياع، لقد زلزلت الفضائح أركان الدول الكبرى

إن الذين يسمون اليوم بـ "العالم المتحضر" يخربون بيوتهم بأيديهم وحضارتهم تقتلهم، تفرز سموما تسري فيهم فتقتل الأفراد، وتغرق المجتمعات الذين نسميهم اليوم بـ "العالم المتحضر" كالطائر الجبار الذي يريد أن يحلق في أجواء الفضاء بجناح واحد إننا بحاجة إلى الرسل وتعاليمهم لصلاح قلوبنا، وتهذيب نفوسنا، وهداية عقولنا نحن بحاجة إلى الرسل كي نعرف وجهتنا في الحياة، وعلاقتنا بالحياة وخالق الحياة[1].

ثانيا الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة لا يكون إلا على أيدي الرسل وقيادتهم للبشرية:

يقول ابن القيم في بيان حاجة العباد إلى الرسل وتعاليمهم: "ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الخبيث والطيب على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت ليست بأهم من ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير

وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به - طرفة عين - شقيت وفسد قلبك حتى صار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المقلاة، إن حال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال، بل أعظم، ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو فضل عظيم[2].

ثالثا حاجة البشرية إلى الشريعة كحاجتها إلى الطب؛ فبالشريعة تصح القلوب والعقول، وبالطب تصح الأبدان:

عقد ابن القيم مقارنة بين فيها أن حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى علم الطب مع شدة حاجة الناس إليه؛ لصلاح أبدانهم، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم، قال: حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة؟ وأما أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلهم، وعامة بني آدم - لا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانا، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى إن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم الخاصة

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى

التنفس فضلا عن الطعام والشراب؛ لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطل الروح عنه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة، ففساد الروح والقلب جملة، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسل - عليهم السلام - والقيام به والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك ألبتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم[3].

رابعا الوحي هو حلقة الوصل بين الله تعالى ورسله، فلا يصح الاستغناء بالعقل عنه:

يزعم الناس في عالم اليوم أنه يمكنهم الاستغناء عن الرسل والرسالات بالعقول التي وهبهم الله إياها؛ ولذلك نراهم يسنون القوانين، ويحلون ويحرمون ويخططون ويوجهون، ومستندهم في ذلك كله أن عقولهم تستحسن ذلك أو تقبحه، وترضى به أو ترفضه، وهؤلاء لهم سلف قالوا مثل مقالتهم - هم البراهمة أحد طوائف المجوسية - حيث "زعموا أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم، لإغناء العقل عن الرسل؛ لأن ما جاءت به الرسل إن كان موافقا للعقل حسنا عنده فهو يفعله، وإن لم يأت به، وإن كان مخالفا قبيحا فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه".

ولا يجوز في مجال الحجاج والنزاع أن يبادر المسلم إلى إنكار قدرة العقل على إدراك الحسن والقبح؛ "فإن الله قد فطر عباده على معرفة الفرق بين الحسن والقبيح، وركب في عقولهم إدراك ذلك، والتمييز بين النوعين، كما فطرهم على معرفة الفرق بين النافع والضار والملائم لهم والمنافر، وركب في حواسهم إدراك ذلك، والتمييز بين أنواعه

والفطرة الأولى: وهي فطرة الله العباد على التفريق بين الحسن والقبيح خاصة بالإنسان، وبها يتميز عن غيره من الحيوانات، وأما الفطرة الثانية: وهي فطرة الله عباده على التفريق بين النافع والضار، فهي مشتركة بين أصناف الحيوان، والذي ينبغي أن ينازع فيه أمور أربعة:

· أن هناك أمورا هي مصلحة للإنسان لا يستطيع الإنسان إدراكها بمجرد عقله؛ لأنها غير داخلة في مجال العقل ودائرته "فمن أين للعقل معرفة الله - عز وجل - بأسمائه وصفاته؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده؟ ومن أين له معرفة تفاصيل محبته ورضاه، وسخطه وكراهيته؟ ومن أين له معرفة الثواب والعقاب، وكيفيتهما، ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحدا من خلقه إلا من ارتضاه من رسله، إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل، وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته".

·أن الذي يدرك العقل حسنه أو قبحه يدركه على سبيل الإجمال، ولا يستطيع أن يدرك تفاصيل ما جاء به الشرع، وإن أدرك التفاصيل فهو إدراك لبعض الجزئيات، وليس إدراكا كليا شاملا؛ فالعقل يدرك حسن العدل، وأما كون هذا الفعل المعين عدلا أو ظلما، فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل".

· أن العقول قد تحار في الفعل الواحد، فقد يكون الفعل مشتملا على مصلحة ومفسدة، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أو مصلحته؛ فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائع ببيان ذلك، وتأمر براجح المصلحة وتنهى عن راجح المفسدة، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره، والعقل لا يدرك ذلك، وتأتي الشرائع ببيانه، فتأمر به من كان الفعل مصلحة له، وتنهى عنه من كان الفعل مفسدة في حقه، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل، فتجيء الشرائع ببيان ما

في ضمنه من المصلحة، والمفسدة الراجحة

وفي هذا يقول ابن تيمية: "الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول".

وما يتوصل إليه العقل - وإن كان صحيحا - فإنه ليس إلا فرضيات قد تجرفها الآراء المتناقضة والمذاهب الملحدة ولو استطاعت البقاء فإنها - في غيبة الوحي - ستكون تخمينات شتى، يلتبس فيها الحق بالباطل [4] والذين يريدون أن يستغنوا عن الوحي بالعقل يظلمون العقل ظلما كثيرا، ويبددون طاقة العقل في غير مجالها

إن للعقل اختصاصه وميدانه وطاقته، فإذا اشتغل خارج اختصاصه جانبه الصواب، وحالفه الشطط والتخبط، وإذا أجري في غير ميدانه كب وتعثر، وإذا كلف فوق طاقته كان نصيبه العجز والكلال

·إن العالم المادي المحسوس أو عالم الطبيعة هو ميدان العقل الفسيح الذي يصول فيه ويجول؛ فيستخرج مكنوناته، ويربط بين أسبابه وعلله، ومقدماته ونتائجه، فيكشف ويخترع، ويتبحر في العلوم النافعة في مختلف ميادين الحياة، وتسيير عجلة التقدم البشري إلى الأمام

فالوحي الإلهي وجه العقول إلى النظر في الكون والتدبر فيه، وحث الإنسان على استعمار هذه الأرض واستثمارها وفي مجال العلوم المنزلة من الله وظيفة العقل أن ينظر فيها؛ ليستوثق من صحة نسبتها إلى الله - عز وجل - فإن تبين له صحة ذلك فعليه أن يستوعب وحي الله إليه، ويستخدم العقل الذي وهبه الله إياه في فهم وتدبر الوحي، ثم يجتهد في التطبيق والتنفيذ

والوحي مع العقل كنور الشمس أو الضوء مع العين، فإذا حجب الوحي عن العقل لم ينتفع الإنسان بعقله، كما أن المبصر لا ينتفع بعينه إذا عاش في ظلمة، فإذا أشرقت الشمس وانتشر ضوءها انتفع بناظريه، وكذلك أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت

قال سبحانه وتعالى:

(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

(الحج:46)[5].

"إن العقل - بدون هداية الرسل - ليس في وسعه أن يعرف عن الله ما يجب أن يعرف، ولا أن يدرك من الحياة الآخرة ما ينبغي أن يدرك، ولا أن يصل بصاحبه إلى الحياة الطيبة في الدنيا، فضلا عن الآخرة، فقد تأكد عندها أن الرسل والأنبياء هم الذين يخرج الله بهم البشر من ظلمات الكفر والعصيان إلى نور الإيمان والطاعة"[6].

خامسا الأنبياء هم حلقة الوصل بين الله وخلقه، فهم يعرفون العباد بخالقهم و يبلغونهم ما أمرهم به:

لا يمكن لعاقل - يفهم مهمة الرسل - أن يصفهم بعدم تبليغ ما أرسلوا به، فهم لم يكونوا رسلا إلا لأنهم أصحاب رسالات، وهم بهذه الرسالات واسطة بين الخالق والخلق، فلو لم يبلغوا رسالات الحق إلى الخلق، ما كانوا رسلا بالمعنى الصحيح الكامل بهذا الوصف، والله - عز وجل - وصفهم بالبلاغ

قال سبحانه وتعالى:

(الذين يبلغون رسالات الله)

(الأحزاب: ٣٩)

وقال سبحانه وتعالى:

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(النساء: ١٦٥)

قال سبحانه وتعالى:

(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)

(المائدة:67)

وقال:

(ما على الرسول إلا البلاغ)

(المائدة: ٩٩)

وقال سبحانه وتعالى:

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)

(النحل:44)

وكل رسول كان يقيم الحجة على قومه بالبلاغ

يقول الله - سبحانه وتعالى - على لسان رسله في القرآن الكريم:

(أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين)

(الأعراف:68)

(أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون)

(الأعراف:62)

فالرسل أمناء على رسالات الله، ولو كتموا ما أمروا بتبليغه لما كانوا أمناء، ولو كتموا شيئا لما قامت الحجة على أممهم، ولكان لهم عند الله حجة، والله - عز وجل - أعذرهم

إذ قال سبحانه وتعالى:

(رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)

(النساء: 165).

واتهام الأنبياء بالتقصير في البلاغ جرأة على الأنبياء وعلى دين الله، ورميهم بما لا يليق بهم ولا يتفق وما يؤمنون به من فضائل ومبادئ، إذ كيف يؤمن عاقل برسالة يعلم أنها لم تصل إليه كاملة، وما قيمة إيمانه بها وهو لم يتمكن من العمل بمقتضاها حيث لم تصل إليه؟! إن هذا الاتهام والتحلل من الشريعة صنوان، بل هو تكأة لهذا الغرض

إن الإنسان بدون الأنبياء فلك يدور في مجال التيه والضياع، لا يعرف غاية لحياته، ولا يستطيع أن يجيب عن العديد من الأسئلة التي تحاصره ولا يجد منها مفرا، والتي لا يملك العقل إجابات عنها، لا يملك تلك الإجابات الشافية النافعة الصحيحة من الناس إلا

الأنبياء والرسل

الخلاصة:

·إن البشر في حاجة إلى الرسل وتعاليمهم، لصلاح قلوبهم وإثارة نفوسهم وهداية عقولهم وتعريفهم بخالقهم وما خلقوا له، أما الزعم بأن العقل البشري يستطيع أن يهتدي إلى الخير والحق بدون الرسل والرسالات، فهذا أمر يأباه الواقع والتاريخ؛ لأن التجارب البشرية أثبتت أن الاهتداء إلى معرفة الله لا يتم إلا بالرسل الذين بعثهم الله ليعرفوا الناس به

·الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة لا يكون إلا على أيدي الرسل وقيادتهم للبشرية؛ لأنهم الميزان الذي توزن به الأخلاق والأعمال، وكل ما يتقرب به الناس إلى الله عز وجل

·إن حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى علم الطب مع شدة حاجة الناس إليه لصلاح أبدانهم، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم؛ لأن الرسالة غذاء للروح التي هي أهم من البدن، ولا يحيا البدن إلا بها، وإذا سلبت منه فإن الجسم يموت

·لقد وجه الوحي الإلهي العقول إلى النظر في الكون والتدبر فيه، وحث الإنسان على إعمار هذه الأرض، واستثمارها، وفي مجال العلوم المنزلة من عند الله كانت وظيفة العقل أن ينظر فيها؛ ليستوثق من صحة نسبتها إلى الله - عز وجل - فإن تبين له صحة ذلك فعليه أن يستوعب وحي الله إليه، ويستخدم العقل الذي وهبه الله إياه في فهم وتدبر الوحي، ثم يجتهد في التطبيق والتنفيذ

· أصحاب العقول إذا أشرق الوحي على عقولهم وقلوبهم أبصرت واهتدت، قال سبحانه وتعالى:)فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (46)((الحج).

·الأنبياء هم حلقة الوصل بين الله - عز وجل - وخلقه، فهم يعرفون العباد بخالقهم وما أمرهم به، ولا يمكن لعاقل يفهم مهمة الرسل أن يصفهم بعدم تبليغ ما أرسلوا به؛ فهم لم يكونوا رسلا، إلا لأنهم أصحاب رسالات، وهم بهذه الرسالات واسطة بين الحق والخلق قال سبحانه وتعالى:)الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله((الأحزاب: ٣٩).

المراجع

1. (*) سقوط الغلو العلماني، د محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1422هـ/ 2002م الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م
2. الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م، ص29: 31 بتصرف
3. الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م، ص31، 32.
4. الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م، ص35، 36 بتصرف
5. الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م، ص36: 38 بتصرف
6. الرسل والرسالات، د عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس، الأردن، دار السلام، القاهرة، 1426هـ/ 2005م ، ص40، 41.
7. عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم، د محمد أبو النور الحديدي، مطبعة الأمانة، القاهرة، 1399هـ/ 1979م، ص25.